Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إمكانية التفريق بين الأجناس والأنواع واردة. لكنه يجد أيضا، من خلال البحث التاريخي، سواء على صعيد الانتاج أو التلقي أو التداول، أن بعض الأجناس أو الأنواع، بحسب التطور أو التحول الاجتماعي والثقافي، يستقطب الاهتمام أكثر من غيره، أو يفرض نفسه على المهتمين على حساب أخريات تبقى في الظل. كما أنه، وللاعتبارات عينها، تفضل أنواع على غيرها لدى فئة دون أخرى، وتقصى من دائرة الاهتمام، بل وتقابل بالرفض والتهميش...

2.0.3. إن مختلف هذه التلوينات المسجلة هنا، والمتصلة بالتحولات التاريخية والثقافية تجعلنا نرى في اعتبار «الشعر ديوان العرب» قولة لا يمكن التسليم بإطلاقيتها، وتعاليها على الزمان والمكان. ذلك لأن هيمنة جنس من الأجناس، أو طليعية نوع من الأنواع، أو المفاضلة بينها، أو تهميش أو إلغاء بعضها الآخر من القضايا الطبيعية في تواريخ آداب كل الأمم، وهي تتغير بتغير الصيرورات والحقب الفنية والثقافية. وما رأيناه بصدد السيرة الشعبية في الفصل الثاني خير مثال على ذلك. لكن ما يحدث هو أن تغير الحقب، لا يؤثر فقط في الأجناس أو الأنواع، ولكن في الوعي بها وتصورها أيضا، بل وفي تسميتها كذلك.

يظهر لنا ذلك في كون الدارسين الذين اهتموا ب«السيرة الشعبية» في أواسط هذا القرن، لم يعملوا على تحويل السيرة من وضع «اللانص» إلى «النص» فقط، بل أيضا أعطوها تسميات عديدة وجديدة عنها، لأن وعيهم بها، وتفكيرهم فيها، علاوة على أنه جاء استجابة لتحولات عديدة، يختلف عن صور الوعي القديمة بها سواء لدى ممارسيها أو رافضيها. وليعطوها مكانتها اللائقة بها، لابد من إعادة التفكير فيها بوضعها في سياق التصورات التي يأخذون بها سجالا، أو تأملا، ويرهنونها إلى جانب الإبداعات الأخرى التي يهتمون بها، فيعاملونها معاملة النصوص الحديثة التي يشتغلون بها للمقاصد نفسها.

لكن ما انتهينا إليه من خلال قراءتنا لهذه الدراسات، هو أنها ظلت أسيرة السجال، بل سعت إلى تحويل السلاح الذي كان يحاربها إلى أداة للدفاع (1.2.2)، وكان من نتائج ذلك حصول الاضطراب المفهومي، وغياب الدقة في الاستعمال، الشيء الذي يجعلنا الآن لا نطمئن إلى تلك المصطلحات، ولا إلى